الحركات الاستقلالية

في مصر القديمة

للدكتور حسن كمال

لا يخفى ان تاريخ مصر القديم يضم حوادث اربعة آلاف سنة أي منذ ابتداء ظهور الحضارة على سواحل البحر الابيض المتوسط لما كان العالم عائشاً في ظلمات الجهل والوحشية ولعلّ أهم ما يستوقف نظر الباحث في هذا الموضوع ما اصاب البلاد من غزو الاجانب واختلاطهم بالمصريين وتأثير ذلك في الاذهان والاخلاق الوطنية

وكان القطر في مبدىء مدنيته منقسماً الى عدة امارات صغيرة مستقلة اخذت تلتئم تدريجاً حتى تكوّن منها مملكتان عظيمتان احداهما بالوجه القبلي والاخرى بالوجه البحري . وامتازت المملكة الاخيرة بسرعة تقدمها في الحضارة . ومنذ عام ٤٢٤١ قبل الميلاد لقبت مصر « بأرض القطرين » نسبة الى جزئيها البحري والقبلي . وحوالي عام ٣٤٠٠ ق . م انضم هذان الوجهان تحت سلطة الملك مينا فكان هذا الملك اول من حكم ارض مصر مجتمعة واول ملوك الاسرة الاولى المصرية . واعتبر المؤرخون عهد مينا هذا حدّاً فاصلاً في تاريخ مصر القديم اذ قسّموه الى قسمين . القسم الاول ويرجع تاريخه الى ما قبل الأسر والقسم الثاني ويعرف بحكم الاسر . وقد اثبتت لنا المباحث والحفائر الاثرية ان زمن حكم الاسر جاء نتيجة مباشرة لرقيّ وتقدم تدريجي في حضارة الزمن السابق

والفضل في رقي الحكم المصري مدة حكم الاسر الاولى التي تقدر بحوالي اربعة قرون يرجع الى ضمّ سائر جهاته تحت حكم الملك مينا وسلالته الذين اتخذوا مقرّهم في باديء الامر مدينة طيبة بالقرب من المرابة المدفونة . ثم انتقلوا بعد ذلك الى منف . وفي هذه المدينة ارتقت حضارة البلاد وزاد عمرانها وقوى نفوذها فسمّى الاثريون هذا العهد « المملكة القديمة » . وفي هذا العهد تجلّت حكومة البلاد وادارتها الداخلية بأجلى مظاهر الكمال . واخذ النفوذ المصري يمتد الى ما وراء حدود المملكة

ولما تولت الاسرة السادسة الحكم سنة ٢٦٢٥ ق . م ساست القطر حتى عام ٢٤٧٥ ق . م وفي عهدها اخذ يدبّ في نفوس حكام الاقسام شعور الاستقلال والكبرياء . وكانوا قد احتفظوا بمراكزهم الادارية لاسرهم منذ زمن الاسرة الخامسة . بهذه الطريقة مهّد هؤلاء الحكام الطريق لتجزئة القطر المصري الى امارات مستقلة صغيرة وشلّ نفوذ السلطة المركزية بالبلاد

هكذا تمكن حكام الاقاليم المصرية من اسقاط بيتهم الفرعوني المالك في اواخر حكم الاسرة السادسة حوالي سنة ٢٤٠٠ ق.م .. ومن دواعي الاسف اننا لم نهتد الى كيفية تطوّر تلك الادوار وغاية ما وصل الينا عن ذلك العصر قائمة باسماء ملكية اعتبر (مانيتو) اصحابها ملوك الاسرتين السابعة والثامنة المنتيين . وقال انهم حكموا مدة لا تزيد عن ثلاثين سنة . اما الاشخاص المسؤولون عن هذا الانقلاب العظيم فلم نهتد اليهم للآن . لكننا نظن انهم كانوا معادين لملوك المملكة القديمة . لانهم نهبوا المعابد وخرّبوا الهياكل والمقابر والنقوش والرسوم البديعة بنظام وتدبير . وحطموا التماثيل الجرانيتية الجميلة والصوّانية وألقوا بعضها في الآبار . لذلك لا يبعد ان كان ذلك العصر عهد فوضى وخراب عجز فيه ملوكه وامراؤه عن تشييد مقابر او آثار لم تستدل منها على حوادث زمنهم

لكن المعروف ان مثل هذا الانقلاب الفجائي لا يحصل عادة الاّ من غزو اجنبي عن طريق الدلتا غالباً . وهذا الغزو سبّب تقهقر حكام منف العظيمة الى (اهناس) الحفيرة . قال الاستاذ (بتري) ولعلّ الملك (خيان) الذي جاء عنهُ انهُ حكم القطر طرًّا مثل الهكسوس كان احد الملوك الاجانب الذين غزوا القطر وابادوا سلطانه بعد حكم الاسرة السادسة . وقد نسب بعض الاثريين هذا الملك الى عهد الهكسوس . لكن (بتري) عارض في ذلك واعتبره اسيويًّا غزا مصر عن طريق تل بسطة (قرب الزقازيق) وحكم في الوقت نفسه شمال جزيرة العرب والعراق ومصر بدليل تمثال الاسد الذي وجد بالعراق واسم ذلك الملك العظيم منقوش عليه . زد على ذلك ان القاب هذا الملك مثل « امير الجبال » و « ضام الاقاليم » تشير ايضاً بطريق غير مباشر الى بداوته واتساع ملكه

ووصلت الينا رواية لا يبعد انها من تلك الازمنة جاء فيها ان ساحراً يدعى (انوور) انذر فرعون مصر بحصول اضطرابات وقحط في المملكة يصير فيها الغني فقيراً والفقير غنيًّا . ثم يغزو البلاد قوم اجانب فينقلب النظام رأساً على عقب . وبعد ما سرد الساحر كثيراً من هذه الاخبار المحزنة قال انهُ سيأتي بعد ذلك رسول « يطفىء نار ذلك اللهيب فيمدحه الخلق ويعتبرونهُ راعيهم السلامة قلبه . ويبقى هذا الرسول يلم شعث الضال من قومه فيلتف الناس حوله ويعضدونه بكل قواهم لينجيهم من بلائهم ومصائبهم . . . . فيدفع الضرر بذراعيه بقوة . . . . . »

والظاهر ان طرد الاجانب من مصر وتشتيت ورد انتظام الى القطر وارجاع السكينة والطمأنينة اليه انما يرجع الى امارة إهناس الواقعة جنوبي الفيوم وهي مركز عبادة حوريس منذ مبدأ عهد الاسر . واول من ارتقى عرش مصر من هؤلاء الاهناسيين هو (إختويس) واليه ينسب حب الانتقام والجبروت والفظاظة اكثر مما تنسب الى سواه . وجاء في نقوش اسيوط ان حالة القطر المصري كانت وتشتت سيئة وان ملوك اهناس قاوموا ذلك السوء وحاولوا ازالته . فكان « كل موظف يدير عمله كالمعتاد بلا مشاجرة ولا مطاحنة ... وبطل قتل الطفل جوار امه وسفك دم الرجل قرب زوجه ووقف فعل السوء .... وضرر الرجل لبيته » . وجاء بمقبرة اخرى « اذا جن الليل مدحني كل من نام في الطريق لانه اصبح آمناً كالذي يقطن داره . ذلك لان فزع الامة من جنودي كان حامياً له في وحدته »

هذه هي اقدم رواية لغزو الاجانب لمصر واضمحلالها ثم تغوتها عليهم وطردها اياهم واسترداد استقلالها سالماً بالتالي

بعد ذلك اخذت شمس طيبة تبزغ تدريجاً لاول مرة في افق التاريخ فأخذ حكامها ينافسون ملوك اهناس ودار بين الطرفين نزاع انتهى بفوز طيبة وانتقال مقاليد الحكم الى حكام الصعيد وتولت بعد ذلك الاسرة الثانية عشرة الحكم وساست الامارات الصغيرة بالحزم والدهاء فتقدم القطر كثيراً ولبست البلاد ثوب التمدين والنعيم لمدة تنيف على مائتي سنة تقريباً اي من سنة ٢٠٠٠ الى سنة ١٧٨٨ ق . م ويعرف هذا العصر عند الاثريين « بعصر الآداب » لانها بلغت فيه اعظم شأوها . فالشعر والنثر بلغا اقصى درجاتهما من حيث المتانة والجودة كما ان الحفر والعمارة تقدما بدرجة مدهشة

وفي سنة ١٧٨٨ ق . م . سقطت الاسرة الثانية عشرة واشتعلت في البلاد نار ثورة داخلية انتهت بانقسامها وتمزق كلمتها وتطاحن امرائها على العرش . بعد ذلك استولى على البلاد قوم من مملكة اسيوية شاسعة سماهم (مانيتو) هيكسوس حكموا القطر المصري مدة قرن تقريباً واتخذوا في اثنائه مدينة (أواريس) أو (هوارة) الواقعة شرقي الدلتا مركزاً لهم . وذلك حوالي ١٨٠٠ قبل الميلاد . اما (هوارة) فأصلها بالمصرية القديمة — حا أوار — ومنها اشتقت اواريس و هوارة (راجع تاريخ الشرق الادنى للاستاذ المرحوم هول Hall ص ٢١٧)

وليس من السهل معرفة موطن امبراطورية الهيكسوس وأصلهم وأخلاقهم . اذ الغالب ان رواية (مانيتو) ان هؤلاء القوم فينيقيون صحيحة . والثابت ان اهالي بلاد العرب كثيراً ما هاجروا الى سوريا . ولذلك لا يبعد أن هذين القطرين اتحدا بعد مجهودات حربية تحت ادارة حاكم قوي وكوّنا مملكة واحدة . ويرى الاستاذ (كنج King) ان اصل الهيكسوس من بلاد

العرب هاجروا الى الشمال اثر عوامل داخلية ومن هناك غزوا مصر . وقد حدثت بعد ذلك هجرات شمالية مماثلة لهذه بدأت من تلك الاصقاع وانتهت بغزو (بابل) وتأسيس المملكة الارامية وانتشار الاسلام . ومما يعزّز ذلك تلقيب المصريين للهيكسوس بلقب (عامو) — ويعني اصحاب المصاة الملتوية — وهو اللقب الذي اطلقوه غالباً على عرب الصحراء (راجع تاريخ بابل للاستاذ كنج ص ١١٩)

واتضح لنا من الآثار ان السوريين الذين أتوا الى القطر المصري أيام الاسرة الثانية عشرة كانوا متمدينين راقين . كما ان حروب الفراعنة في سوريا بعد طرد الهيكسوس من مصر اثبتت وجود حضارة عظيمة هناك . والظاهر ان انهيار صرح امبراطورية الهيكسوس العظيمة ترك بعض تأثيراته في أهالي فلسطين وسوريا استمرت عدة اجيال بعد بسط النفوذ المصري عليها

من ذلك يتضح ان امبراطورية الهيكسوس سامية الاصل . وقد عثر على جُعَل لفرعون من عهد الهيكسوس عليه اسم (يعقوب حر) — اي (يعقوب آل) اشارة الى احتمال تبوّء احد رؤساء بني اسرائيل الملك في تلك العصور الغامضة . وهذا الامر يتفق مع احتمال دخول بني اسرائيل مصر وتقلد . واذا صحّ هذا الاستنتاج كان عبرانيو مصر عرباً تابعين لامبراطورية الهيكسوس . ولا يبعد أن يكون وجود هؤلاء العرب بمصر سبباً في تلقيب تلك الامبراطورية « بدولة الرعاة » . ولا يبعد ايضاً ان تكون نظرية (يوسيفوس) القائلة بأن بني اسرائيل قوم من الهيكسوس فيها شيء من الحقيقة وان لم تكن هناك ادلة على صحة ذلك

اما كلمة « هيكسوس » فأصلها بالمصرغليفية (حكاو خاسوت) واللفظ الاخير لا يبعد انهُ كان يُلفظ في عهد المملكة الحديثة (١٥٥٠ — ٧١٢ ق . م .) (شاسو) . وعلى ذلك فيكون اسم الهيكسوس بالمصرية القديمة في العهد المذكور (حكاو شاسو) ومعناه حكام البلاد الاجنبية وهي صفة اطلقها المصريون على الاجانب من عهد الاسرة السادسة (٢٤٢٠ — ٢٢٧٠ ق . م .) حتى العهد اليوناني (٣٣٢ ق . م .) وعلى ذلك فلفظ هيكسوس هو في الاصل (حكاو شاسو)

ويستدل من رواية (مانيتو) والنصوص القديمة ان الهيكسوس فرضوا الجزية على انحاء القطر المصري كله . وقد عثرنا على بعض آثار للهيكسوس جهة جبلين باقليم الشلال الاول ولذلك لا يبعد ان دخول الهيكسوس الى مصر كان تدريجاً أشبه شيء بهجرة غير مصحوبة بحروب او منازعات . لكن (مانيتو) اخبرنا انهم لما دخلوا مصر استولوا على منف (جوار سقارة) وانهم اتخذوا هوارة — اواريس — جوار بور سعيد — قاعدة الحكم بمصر لقربها لآسيا . وكان ملك الهيكسوس وقتئذ يدعى (خيَنزر) وقد ولّى وزيره المدعو (إنحو) حاكماً على مصر يدير امورها وينظم معايدها والغالب ان حكم الهيكسوس لم تزد مدته على مائة وخمسين سنة في

مصر (١٧٠٠ — ١٥٥٠ ق . م .) وبديهي أن معظم ملوك مصر المعاصرين للهيكسوس كانوا بمثابة ولاة تحت حكمهم

وقد اثار حكم الهيكسوس في المصريين شعور البغض لهم حتى طردوهم وتخلصوا منهم والمعروف عن هؤلاء القوم انهم ادخلوا الخيل الى القطر المصري لاول مرة ودربوا المصريين على الحروب العلمية ، وعليه فالمصريون مدينون لهم بكثير من ارشاداتهم النفيسة وتعاليمهم القيمة مهما عظم مقدار الخسارة والتلف والضيق الذي حل بالبلاد في عصرهم

***

اما كيفية طرد الهيكسوس فتتلخص في أن مصر كانت مقسمة وقت حكمهم الى عدة اقسام تحت ادارة « ملوك مصر » على ما رواه مانيتو . وان كل ملك من هؤلاء كان منفرداً ومستقلاً بادارة اقليمه تحت اشراف الهيكسوس . ولا يخفى ان مثل هذه الحالة اضعفت نفوذ المصريين كثيراً امام عدوهم الاجنبي . لكن ملوك طيبة وبعض حكام اقسام مصر اتحدوا بعد ذلك وجمعوا كلمتهم وشبوا حرباً على العدو وربما كان ابرز هؤلاء الملوك هو المدعو (سكنرع الثالث) (١٦٠٠ ق . م .) وقد عثر المرحوم كمال باشا على مومياءه ضمن كنوز الدير البحري الكبرى وهي الآن محفوظة بالمقبرة الفرعونية بالقاهرة وقد وجدت بهذه المومياء جروح شنيعة ميتة بالرأس أثر قتال ونزاع قبل الوفاة يرجح انهُ حصل وقت حرب المصريين مع الهيكسوس . ولو امكن عمل قائمة شرف عالية لمن ضحوا بأنفسهم في سبيل بلادهم لأتى هذا الملك في اولها . لانهُ ناضل بنفسه بين جنوده بل وتقدمهم حتى تمكن العدو من اصابته في رأسه فهشم جمجمته في خمسة مواضع (راجع كتاب المومياءات الملكية للاستاذ اليوت سميث ١ — ٣) . وتعدد الاصابة دليل على شدة عناد هذا القائد وقوة ايمانه بواجبه نحو وطنه

ولما توفي هذا الملك تبوأ كرسي الملك بعده ابنهُ (كامس) الذي امضى ينفذ خطط سلفه لانقاذ وطنه من براثن العدو . وبهذه الطريقة وضع لنا اسلافنا انموذجاً نقتدي به يتلخص في اتمام العمل الوطني الشريف كلٌ بحسب قدرته . لانهُ ما لم يدرك كنه لا يترك جله . بهذه الطريقة جاء دور (كامس) بطل الكفاح ومثال القائد من حيث النشاط والامانة والاخلاص . فأتى بأعمال جليلة تكشف اعمال (جان دارك) و (جورج واشنطون) وغيرهما . لكنها للاسف مجهولة بين من يجب عليهم الالمام بها . كان من حظ (كامس) ان تمكن من كسر شوكة الهيكسوس لاول مرة وشل نفوذهم بالوجه القبلي . فأثبت بذلك لأهل وطنه امكان قهر العدو والتغلب عليه . بل وطرده من الوطن . حصل ذلك شمال مدينة الاشمونين بمصر الوسطى وكان الهيكسوس وقتئذ تحت قيادة القائد (تتي) (راجع مجلة العاديات المصرية جـ ٥ ص ٣٩)

واهم مرجع تاريخي لاعمال هذا الملك العظيم هو النص الوارد على لوحة كارنارفون رقم ١ التي اكتشفت بطيبة (لوقصر) عام ١٩٠٨ ميلادية والتي يرجع تاريخها الى حوالي عام ٥٠ بعد حكم (كاموس) المذكور فقد جاء بهذا اللوح ان الملك (كاموس) يخاطب مجلس اعيان مملكته في السنة الثالثة من حكمه قائلاً ضمن خطبة طويلة :—

« انظروا الى العدو لقد وصل الى الاشمونين ومنع كل انسان من الراحة لانه استبدهم وأذلهم اذلالاً . لقد اخذت على نفسي مناضلته حتى ابقر بطنه لان امنيتي هي تحرير مصر وسحق الاسيويين » . وورد بعد ذلك على لسان جلالته « لقد ركبت السفن الليلية يتقدمني فيها جيشي المتأجج حمية . . . . وأرسلت جواسيسي لاتمكن من سحق العدو . . . . وأمضيت اليوم في مدينة (نفروسي) — وهي مدينة قديمة تقع شمال الاشمونين بضعة أميال — اناضل (تتي) ابن (أبو فيس) ولم اتركه يفلت مني . هكذا رددت العدو الذي استولى على مصر . . . . وأمضيت الليلة في سفينتي وقلبي جذل . فلما طلع الفجر انقضضتُ عليه كالنسر . فما وافت ساعة تعبير الفم (اي ميعاد الافطار) حتى كان النصر مكتوباً لي . فهدمت جدرانه وتشتتُ رجاله واضطرّت زوجته الى الهرب نحو ساحل النهر . وكانت جيوشي كالاسود . . . . . ها ! لقد اخذ اقليم (نفروسي) يسقط في ايدينا . . . . . »

***

الى هنا انتهت عبارة لوحة كارنارفون فلم تتمكن من معرفة مدى تقدم قوات (كاموس) وهل هي ثابتت سيرها حتى (منف) او ارجأت الاستيلاء على هذه المدينة الى وقت آخر. وعلى كل حال فكاموس هو اول فرعون نفذ ارادته بالقوة وتشتيت . ولا تزال جثة هذا الملك العظيم محفوظة بمقبرة القرعانة بالقاهرة ومعها مصاغه وأسلحته الحربية

ولحكمة ارادها الله توفي (كاموس) قبل اتمام عمله الذي تهيأ له اعظم تهيء وبذر بذوره ومن اضلاع ابنه (احمس) اول ملوك الاسرة الثامنة عشرة على قول مانيتو . تولى احمس العرش عام ١٥٨٠ ق . م . تقريباً وكان حكمه اولاً محصوراً في الوجه القبلي بقسم طيبة . وبعد ما اثبت لاهالي اسوان عزمه على مراعاة حسن الجوار كاجداده ولى وجهه نحو الهيكسوس . ولم تصل الينا نصوص احمس الاول عن ذلك الكفاح . وكل ما اهتدينا اليه في هذا الصدد هو تلك النقوش الواردة على جدر قبر ضابط مصري من جهة الكاب كان موالياً للملك طيبة واشترك معهم في مهاجمة الهيكسوس . وهذا الضابط يقال له (احمس) ووالدته تدعى (إبانا) ووالده (بابا) هذا كان موظفاً في حكومة (سكنرع (الثالث) السابقة الذكر

(كأس من برونز وزجاج وجدت في أشيا ويرجع إلى ١٤٠٠ ق . م)

(تمثال امرأة تسحق القمح من كيش وجد في أخرة سنة ٢٥٠٠ ق . م
تكرم عهد أمير الدكتور أمير فارس
دولة [illegible] وزارة [illegible] بدمشق)

رسم على قصعة فخارية من فترة سلالة ثور يرجع الى ١٢٠٠ ق . م)

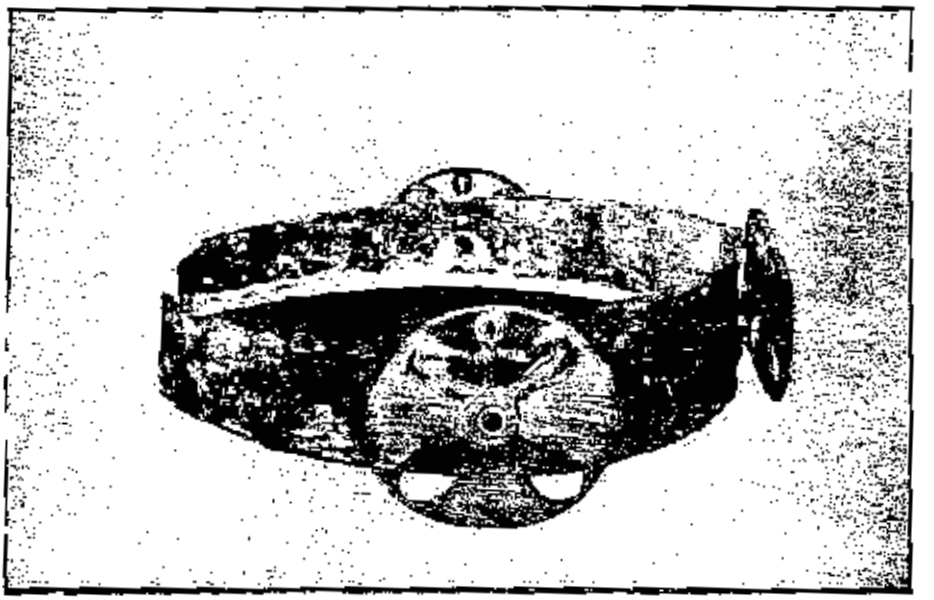

(تاج من الحلى من الورد من حتب رخت ي الجزء ويرجع الى ٢٦٠٠ ق . م)

واليك ترجمة ما قاله احمس بن ابانا عن سيرته ايام الملك احمس الاول : —

« قضيت ايام شبابي في مدينة الكاب وكان ابي ضابطاً في جيش جلالة ملك القطرين البحري والقبلي سكنفرع المرحوم . وكان يسمى (ابانا) وهو ابن (روينيت) . ولما توفي وظفت مكانه في سفينة تسمى (القربان) وذلك ايام الملك احمس الاول . وكنت اذ ذاك شابًّا لم اتزوج فلما تزوجت وصارت لي اسرة نقلت الى الاسطول الشمالي لما شوهد فيَّ من الشجاعة والاقدام » . من هذا يتضح انه نقل من اسطول الكاب وارسل شمالاً لمحاربة الهيكسوس . وبعد ان صار ضابطاً بحريًّا انتظم ضابطاً بريًّا في حرس الملك الخاص . وقد اشار الى ذلك بقوله « وكنت اتبع الملك في سيره حيثما اقله عجلته ولما حاصر الملك مدينة (اواريس) اظهرت لهُ بسالة وأنا أحارب على قدميَّ فعينني جلالتهُ في السفينة المسماة (ضوء منف) . ثم حارب جلالة الملك في مياه ترعة (يزدكو) جهة (اواريس) وقد حاربت وقتلت بيدي فأحضرت يداً مقطوعة من رجال العدو برهاناً على شجاعتي واقدامي . فبلغ ذلك الخبر رسول الملك فأنعم عليَّ جلالة الملك بعد ذلك بنشان الشجاعة الذهبي . ولما قامت الحرب مرة ثانية في هذا المكان دخلت النزاع وحاربت بيدي وأحضرت يداً أخرى (من أسير) فأنعم عليَّ جلالة الملك مرة ثانية بالنشان الذهبي لشجاعتي . في ذلك الوقت العصيب قامت ثورة عظيمة في اقسام مصر جنوب الكاب تطلبت ذهاب الملك أحمس الاول شخصيًّا مع (أحمس) ابن (ابانا) لقمعها . وقد اخبرنا عن ذلك احمس ابن أبانا بقوله « حضر الملك وحارب قسم مصر جنوب هذه المدينة (الكاب) واسرت حينئذ رجلاً حيًّا نزلت به إلى البحر قابضاً عليه كما لي سائر في طريق المدينة وعبرت به الليل فعلم بذلك رسول الملك فأنعم عليَّ جلالتهُ بمكافأة ذهبية مضاعفة ولما خمدت الثورة رجع الملك مصحوباً بأحمس بن ابانا الى اواريس . قال أحمس المذكور ما ترجمتهُ « فسقطت أواريس في قبضة جلالة الملك . وهناك اسرت رجلاً وثلاث نسوة فكان المجموع أربعة وهبهم لي جلالة الملك عبداً » وكان ذلك عام ١٥٨٢ ق . م . وهو أقدم عيد استقلال معروف في تاريخ الامم .

***

قال أحمس ابن ابانا بعد ما ذكر سقوط أواريس « ثم حاصر جلالة ملك مصر مدينة شاروهن (شرحان) — بجنوب فلسطين — لمدة ثلاث سنوات واستولى عليها » ويعتبر هذا أول حصار طويل معروف من نوعه في التاريخ . هكذا تتبع الملك أحمس الأول عدوه بعد خروجه من مصر حتى قذفهُ في فينيقيا حيث لم تقم لهُ قائمة بعد

وقد كان حكم الهيكسوس وطردهم من مصر عظة كبيرة للمصريين افهمتهم لاول وهلة معنى الاستعمار وسياسة البطش . فأنشأوا جيشاً عظيماً منظماً استعملوا فيه العجلات الحربية مستعينين على جرّها بالخيل التي جلبها الهيكسوس الى القطر المصري وقت غزوتهم له . فتحولت مصر بذلك الى امبراطورية حربية . شأن كل امة تتحد كلمتها . وتلمّ شعثها وتتولى تحرير نفسها بيدها

***

ويجدر بنا في هذا المقام ان نذكر فضل السيدة المصرية في هذه الحركة العظيمة الوطنية ومقدار كفاحها وعظم تأثيرها النسائي في حكام مصر وقتئذٍ . اذ لا يبعد مطلقاً ان تكون القوى المعنوية بين المصريين وقتئذٍ راجعة الى تشجيع الجنس النسائي . ومثل هذا المجهود المزدوج كثيراً ما يشاهد في مواقف الدول الاستقلالية مهما تباينت عناصرها . لكن في مصر وقت طرد الهيكسوس كانت الزعامة النسوية في قبضة الملكة (آحوتب) زوجة (سكنرع الثالث) الذي مات شهيد الوطن في حومة الوغى كما ألمعنا سابقاً وقد رزق منها (كاموس) و (احمس الاول) و (نفرتاري) فلما توفي الزوج قام الابن الاكبر بدوره . ولا يبعد مطلقاً ان يكون ذلك تحت تأثير والدته حبًّا في القصاص من اجل دم الوالد . ثم أتى دور (احمس الاول) الذي تزوج بأخته (نفرتاري) الشهيرة والتي كان لها شأن كبير في الحركة الوطنية حتى عبدها قومها على حد سواء مع زوجها . وقد عثر على تابوتها بالدير البحري

ولا بدّ ان الملكة (آحوتب) عمّرت فوق المائة سنة . وكان في امكانها ان تتولى الحكم بنفسها . لكنها تركته لاولادها ليكافحوا في سبيل بلادهم كفاح الابطال وهي من ورائهم تشد ازرهم وتراقب احوال مملكتهم الداخلية . فيالها من والدة حكيمة رشيدة

لقد شهدت الملكة (آحوتب) كل حركة الاستقلال من اولها الى آخرها ورأت بعينيها انتقال مصر من الحضيض الى العلياء ومن الذلّ والعبودية الى السؤدد والجبروت وهكذا كتب لها المولى ان تفتح عينيها اولاً على بلدها وهو في حالة الهوان وأن تغمضها آخراً ووطنها حرٌّ باسطٌ سلطانه على ممالك آسيا والسودان بفضل مجهودها ومجهود زوجها وأولادها . فأنعم بهذه العائلة وأكرم بشهامة رجالها ونسائها

ولما توفيت هذه الملكة حنطت جثتها بكل احترام ووضعت في تابوت ذهبي خاص ومعها حليّها والهدايا التي قدمت لها في حياتها من زوجها واولادها . وكان هذا المصاغ معتبراً اكثر ما عثر عليه من الآثار الى عهد قريب ويتكوّن من أساور وخواتم ومروحة ذهبية ومرآة من البرنز ذات اليد الابنوسية وغير ذلك